La dolce vita

ليا توة أيامات نعاود في فرد حلمة خائبة. كل ليلة، ليا جمعتين. نقوم منها نلهث والعرق يصب عليا. نحس في روحي مخنوق و جهامتي وطولي متاع وليّد صغير لقى روحو وحدو. الحلمة تبدى مع الفجر. الشمس بدات تطلع وأنا نشق في غابة باش نخلط للبحر. عمال نقدم، عمال الشط يوخّر والضوء إلي كنت نرى فيه من شيرة الماء ينقص والشجر يكثر والغابة تتكثف وتتسكّر عليا. من الأول فيبالي بروحي وحدي. بعد بديت نحس في حد يمشي بحذايا وإلاّ ورايا، نحس فيه من الشيرات الكل. معادش نرى بلڨدا، الدنيا ظلامت قدامي. ما نفيق بروحي كان واحد دزني من تالي. لقيت روحي في وسط دهليز ضاوي بالشمع وباقي الشخص إلي ما نجمتش نراه يدز فيا و يقلي :"قدّم ما تدورش وراك." بدني يستّر، مكبوس. لا نجّمت ندور لا على اليمين لا على اليسار. ما عاد نرى في شيء. دزني الراجل دزة قوية لقيت روحي طائح في هفهوف، قاعُو ما يتراش. وقتها نقوم. نقوم قلبي يدق في الألف، نغزر لحيوط بيتي ومازال مخي في الحلمة ونزيد نترعب. نصبّح على وجايعي في بدني: كرشي، ڨراجمي، قلبي. تدوم الوجايع ساعة ونصف، ساعتين. باش نسكتهم نبدى نرحي سيڨارو وراء سيڨارو. السبعة نقوم من الفرش، ندوش بالماء البارد، نلبس حوايجي ونخرج، نمشي كي كل يوم لمحطة باردو، بلاكتي مكتوب فيها نومرويا و كلمة تسريح، لابس جيليتي البرتڨانية، شادد التّل. نبداو أربعة و إلا خمسة نستانو غادي نهار كامل. كل نهار و قسمو.

اليوم حليت الفيسبوك خرجلي souvenir ليه عامين. تصويرتي أنا ومريم. نتفكرو النهار هذاكا مليح. عيد ميلادها وحبّت نعديو النهار في حلق الواد. تعشق حلق الواد. كي كانت تقرى في الlycée، تفصع من القراية، تاخو الميترو والترينو وتمشي تركش قدام البحر وحدها. تعمل هكاكة كل ما تصير حاجة تقلقها. كي ترى البحر تهدى. هزينا معانا فرشية كبيرة، عملتلنا citronade، فطور الصباح، فطور القائلة. قداه ضحكنا نهارتها. غنيتلها "أمل حياتي". القهوة إلي مقابلتنا تعدي فيها. كنت نحس كي نرى مريم إنو هي المرأة الوحيدة إلي نجم نغنيلها "أمل حياتي". كي طاح الليل، اتكينا نصف ساعة نغزرلو للسماء. أعرف إلي حسّيت الشط شطنا و ما فما كان أحنا في الدنيا. نحكيلها على كل شيء وتحكيلي على كل شيء. نرتاح. نفرّغ قلبي. والله ساعات يخرجلي كلام وحكايات عمري ما حكيتهم و إلا نتصور روحي نحكيهم لحد. عامين توة ما عنديش أخبارها. لا نعرف عليها في أنّا بر. بدلت نومروها وبلوكاتني في فيسبوك. زعمة جاتها التصويرة هي زادة؟

هاي ماضي ساعة، باش تتعدّى المرأة المذخمة. نتصور خارجة من البانكة إلّي ورانا. تخدم غادي. بانكاجية. ديمة شعرها يهفهف وريحتها البنينة تدوّخني على بلاصتي. تبدى تّقتق بصباتها تقول تمشي على السحاب. اليوم لابسة روبتها الحمراء. واحد، ثنين، تلاثة هاو بش تدور تضحكلي وتسلّم عليا. "شنية أحوالك اليوم؟". لا عرفتها فاتت الأربعين وإلاّ لا. ما تضهرش كبيرة أما تبان مرأة.

توة لينا شهر ما مشيناش للبحر أنا و الأولاد. آخر مرة نحيت خمجة على قلبي. غنينا لين تعبنا. تصهدنا. نحسها تداويني شمس البحر. تغسلني مالداخل. وكي نعمل غطسة نحس روحي تولدت من جديد. ننسى الوقت والغصاير معاهم. غشاشر صغار يتدَكّو على بعضهم. ضحكنا وغنانا يزعزع. نغطس نسري لين يتقطع عليا النفس ونجري للهواء، نشهق بالقوي ونعاود لين معادش يراني حد. رأسي رأس البحر وصوت من داخل يناديلي باش نهج. تطير الثملة. نرجع للشط ونزيد نسكر. عادل معادش يهبط معانا للشط من الحرقة الاخرة. لتوة لا يحب يحكيلنا شنوّة صار. نموت على التقييلة مع صوت الموج، نحس روحي نرجع في كرش أمي وين ما ياذيني حد.

طحت مرة على فيلم .هبلت في مخي. إسمو. La Dolce Vita  بديت نحلم بالهجة. ريت روحي غادي وليت نتعلم في الطليان و تعلمت. وليت نجلجل. الفيزا يطلبو برشا أوراق ما عنديش. بديت نخمّم في الحرقة. توة ليا سنين وأنا نلم في الفلوس. مازلت ما خلطش لميت حقها. العمدة على عمي. يبيع طبة الأرض ويعطيني بايي. كيفلّي مخبي عليا حاجة. ليه أيامات نحسو يمهطل فيا. بالك زادة أنا مرجتو. كل نهارين نطلب فيه. الإحساس متاع بين البينين مني غادي و بدني هوني، بدا يتعّب فيا. خيالي يهز فيا البعيد، نحلم برشا بعيشة ما نعرفش حقيقتها. حاطط جهدي الكل في المشي معادش منجم نقبل حياتي هوني. وعلاه مريم مشات؟ بعد ما ماتو بابا وأمي معاد ما مخليني هوني. عروقي شاحو ولاّو تراب هازهم الريح.

ليا نهارين قمت نعيّط وحدي لا طاح لا دزوه. كنت قاعد، قمت نصيح بالقوي:" فديت! فديت! روحي طلعت، يا ربي هزني ليك!" و الأولاد يسَكتو فيا، خائفين عليا من الحاكم متاع المجلس يهدو علينا ويوقفوني. نصف ساعة وأنا نعيط وبعد هزيت روحي ومشيت. ديما عامل روحي جوّي باهي ونضحّك في الجماعة ونفدلك وننكّت. ديما نتبسم. نصبر كالحجر ومن الداخل ناري حارّة. سكتّ برشا لين نهار تطرشقت. هام ينبرو عليا من قبيلة وأنا شادد روحي لا نشد واحد منهم نغفصو.

كلمني الحراق .كلمت عمّي. قالي خليلي نهارين تو نتصرف. كل دقيقة تتعدى نحسها في عظامي. زاد بيا الشيء. النفس طالع هابط بالسيف. الحكاية عدها تولي بالحق. تعبت وأنا نستنى على هالمادة تجيني خدمة وإلا لا. فديت من خسّة باردو المدڨدڨة ولا نهار طلع منها الماء. فلڨط مالشانطي إلي عمرو ما يوفى. سكّة الترينو والكياس المكسر والتل المشوّك إلي داير بالمجلس. ڨراجمي معبّين بعيطة تحب تخرج. وهالحلمة إلي صنعتها في رأسي بالحق و إلاّ مش بالحق؟ و كان نغرق وكان يشدّوني غادي ويرجعوا بيا؟ مخي يكذب عليا، مخي حكالي حكاية وصدّقتها. وآش عندي نخسر كان نجرب؟ حتى شيء. تسلك. باز تسلك! أنا نحب الضحك والزهو وعندي القبول. حمد الله يا ربي. كي نضحك عندي حفرتين على خدودي. نساهم تو يتضربو فيا. نحب الغناء، عندي صوت يبكي أكبر فحل.

تعداو نهارين، العشرة ونصف متاع الصباح يكلمني عمي :"تعدى هز فلوسك". مشيتلو تطرشقت بالبكاء:"يا وليدي حد ما لازك. ايجا أسكن بحذنا. حل حوينة. عرس وتهنى واخطاك من حكاية ما تعرفش كيفاه توفا" خرجت نجري، نتدعثر كل خطوتين. تكّيت على حيط وحطيت مخي في البكاء. ليا عامين وحدي. نطيّب وحدي، ناكل وحدي، نرقد وحدي، نتفرّج على التلفزة وحدي .إحساس الوحدة غمني وكلاني. ماني هارب من شيء، نحب نمشي لروما ونحوّس لين نتعب.

من اللحظة هاذي ما عندي حتى فكرة كيفاش باش تتكتب حكايتي. ما تنجمش تكون أتعس من توة. حاسس كيفلّي خلّصت ديوني مع الدنيا. يزيني.

نشق في غابة وعمال البحر يبعد عليا. كل خطوة بحسابها. بالسيف ما نتحرك من بلاصتي كإنو الرمل يشربلي في ساقي. نشوف في الناس تفوت فيا وأنا بالشوية بالشوية نولّي آخر واحد فيهم. خلطت على حرف البحر. الماء أكحل ما تنجمش ترى قاعو. طلعنا في باطو صغير مغفصين على بعضنا. كل واحد فينا مكبش في ساكو. من وقتها ما عاد نسمع  ونرى في شيء. قلبي يدق بالقوي باش يخرج من بلاصتو. قاعد بحذايا واحد و إلا حتى أصغر مني. يتبسم. كفاه عطاه قلبو؟ زعمة علاه حارق؟ وين ماشي؟ حتى هو يحلم كيفي بإيطاليا؟ ما نفيق كان بعظامي توجع على ما كبستهم على الساك. وعمال نقدمو عمال البحر يولي يخوف. الموجة كاسحة تشقلب فينا. مع كل طلعة وهبطة، طريحة. صوت الموج يوجعلي في وذنيا. كي العياط. كي البلاّر كي يتكسر. كي الرعد. ما عقلتوش. "خليها عند ربي". La Dolce vita. نرى في سيلفيا تشطح في وسط la fontana di Trevi وتعيطلي باش ندخل معها وأنا نقدملها، نقدملها وتعنقني و احنا الزّوز نشطحو وسقّينا في الماء.